

البلاغة في ضوء النسق ، والسياق ، والتاريخ

د. محمود خليف خضير الحياني

emaf_1979@yahoo.com

الجامعة التقنية الشمالية / العراق

تاريخ الإرسال: 2019-12-18 تاريخ القبول: 2019-12-24 تاريخ النشر: 2019-12-31

ملخص

لاشك أن النظريات النقدية الأدبية الحديثة التي بدأت من البنيوية وحدثتها متطورة إلى نظريات ما بعد الحداثة وما بعد بعد الحداثة كان لها دور في تطور الرؤية البلاغية من حيث تحويل العناية من المفردة إلى النسق والسياق ، ولا يمكن أن نتجاهل بهذا الخصوص السيميائية ، والتداولية ، والتفكيكية ، والهرمينوطيقية التي توسعت في تأويل مبحث البلاغة ولاسيما المجاز والاستعارة والعلاقات التي كانت تقوم فيها بين المفردة أو بين الجملة والسياق ، وبهذا الخصوص فإن هذا البحث ستتحصر مقارنته بالجانب البياني أو الصورة على وفق وصف الخطاب الحديث والذي يتبلور في فن المجاز والاستعارة .

الكلمات المفتاحية : الإستعارة المفردة ، السياق ، المجاز .

Summary

There is no doubt that modern literary critical theories that began from structuralism and modernity to postmodern and postmodern theories had a role in the development of rhetorical vision in terms of shifting care from the individual to the format and context, and we can not ignore in this regard semiotics, deliberative, and deconstruction, The Herminotics, which expanded in the interpretation of rhetoric, especially metaphor and metaphor and the relations that existed between the singular or between the sentence and the context, and in this regard, this research will be limited to its approach to the graphic or image according to the description of modern discourse, which crystallizes in the art of metaphor and Starh.

الاستعارة في المفردة

يرجح الأسلوب البلاغي فن البلاغة وتقسيمها على علاقة البلاغة بالفصاحة وشروط البلاغة التي تتجلى في الأسلوب أو الكلام وما يتبعه من التفضيل بين الشعر والنثر ومدى قدرة بلاغة القول وأحاطته بالمعنى وبيانه على تجاوز بلاغة الوزن والقافية بالنسبة للشعر الذي كان الخطاب النقد العربي القديم يجده في كون بلاغة الكلام تكون في الشعر لما يتوفر فيه من وزن وقافية والتي رفضها أكثر البلاغيين في أثناء بحثهم عن أفضلية بلاغة النثر عن بلاغة الشعر ، ومحاولتهم التأكيد أكثر من موضع على أن الكلام

3

أسلوب يخدم حججهم وبراهينهم في التعامل مع الخصوم أو التعامل مع مريدهم من حيث محاولة إقناعهم ، ولقد كان مبحث المجاز من المباحث الإشكالية التي تجادل وتساجل حولها العقل النقدي والبلاغي العربي القديم ، ولكن هذا لا يمنع أن يكون مبحث الاستعارة ، والذي كان له علاقة عضوية مع مبحث المجاز مجال جدل واختلاف كبير ، إذ قد مثلت الاستعارة الطرف الوسط بين التشبيه والمجاز ، فالبحث في مجازية اللغة أو استعارتها يمكن في النقد العربي القديم في أنه يدخل متتبعه في أرباك وتداخل اصطلاحي ومفهومي ، فمرة نجد أن المجاز في كتب أعجاز القرآن ومعاني القرآن لا يتجاوز دلالة الفعل تجوز ، وهناك من حاول التوسع في المجاز وعدّه من التوسع في اللغة أو المبالغة وحتى الكذب ، وبعض الباحثين القدامى لم يكتف بحدود التداخل المفهومي والاصطلاحي إنما حاول أن يدمجه أو يصهره في مواضيع الاستعارة ، والتشبيه وحتى الكناية ، ولكن هذا الإرباك الاصطلاحي تم تقنيه عند البلاغيين المتأخرين ولاسيما السكاكي الذي حصره في حدود ورسوم ابستمولوجية تم تقسيمه على ضوءها إلى مجاز مرسل ومجاز عقلي ، ولكن ما يهمنا بالتحديد هو موضوع الاستعارة الذي أجده بأنه من أهم مواضيع البلاغة وفنونها لكونه كان مدار والسجال النقدي في الخطاب النقدي القديم والحديث ، فانفتاح الاستعارة في الخطاب النقدي والبلاغي القديم على معان بعيدة مثل بداية لإحداث إشكالية شعرية وظاهرة فريدة ارتبطت بشعراء عباسيين وظفوا الاستعارة في شعرهم بداية من بشار بن برد وصولاً إلى أبي تمام ، وأبي العلاء المعري وبعيدا عن استعارات هؤلاء الشعراء ، فإن محاولة تحديد الاستعارة ووضع لها حدود ورسوم في الخطاب النقدي والبلاغي العربي القديم لم يخدم ظاهرة الشعر العباسي في ذلك الوقت وتحديدا الشعراء العباسيين من الفحول أمثال أبي تمام ، وبشار بن برد ، وأبي نؤس ، فقد كانت حدود الاستعارة قائمة على مفهوم النقل أو الاستبدال الأرسطي في كون عملية الاستعارة تقوم على عملية انتقال الكلمة من معنى إلى معنى كلمة أخرى ، فقد كان العقل العربي القديم يدور حول الكلمة ومعجمها وحدوها اللغوي ولم يتجاوزها إلى السياق أو الجملة ، فلم ينظر العقل العربي القديم إلى القدرة النسقية أو السياقية ودورها في خدمة انحراف معنى الكلمة ، لذلك رفضت أكثر الاستعارات لأبي تمام لأنها لم تجر على كلام العرب أو استعماله ، والتي حاول بعض النقاد القدامى تجميلها ووضعها في خطاب نقدي وعلمي عن طريق كونه (أبي تمام) خرج عن عمود الشعر ، ومن المفارقات العجيبة والغريبة أن يحاول العقل البلاغي العربي القديم أن يضع الاستعارة القريبة ضمن معايير عمود الشعر العربي ، والذي للأسف لم يحاول أكثر البلاغيين والنقاد العرب القدامى أن يوضح ما هي الاستعارة الجيدة ، والتي حددها أكثرهم في النموذج الشعر العربي الجاهلي حتى بداية الشعر الإسلامي ، فالحجة التي كان العقل العربي القديم يبررها بقوة الكلام أو ضعفه وبلغتهم جيده وسيئه الذي يكون عن طريق مطابقة اللغة للكلام العربي القديم ، ولعل هذا البحث عن لغة العرب القديمة وطريقة تشكيلهم لفنون البلاغة ومن ضمنها الاستعارة أوقع النقد العربي القديمة في قضية السرقات ، والانتحال الشعري واصبح كل شيء يقوله الشعر العباسي والى الآن تكرر أو تعديل طفيف للصورة البلاغية العربية ، أو الكلام العربي القديم ونماذجها القديمة ، ومما اضعف مبحث البلاغة ولاسيما الاستعارة وفنون البيان عند العرب هو ادخال فنون البيان الاستعارة ، والمجاز ، والكناية في الجدال العقائدي الذي كان يرجح كفت الحقيقة على المجاز ، والنقل على العقل مما أدى إلى أن تنحصر علاقة الاستعارة في عملية النقل والتبديل التي كانت تخضع لنظام اللغة وقوانينها التي كانت متوارثة بعيدا عن دور الكلام حسب تقسيم عالم اللغة الحديث دوسوسير (الكلام / اللغة) وقدرة الكلام الفردي في تغيير أو انتاج استعارات جديدة في سياق ونسق وبناء لغوي جديد ، فمبحث الاستعارة في النقد ، والبلاغة العربية القديمة يدور في فلك اللغة ومؤسستها المتوارثة التي أبعدتها عن القدرة الكلامية ،

وحرية اختيار الانساق، والسياقات، مما أدى إلى أن يحاول النقد الغربي الحديث التركيز على دور الكلام في صنع وإنتاج الاستعارة بعيدة عن نظام اللغة ومعجم الكلمة

الاستعارة في النسق

حاولت نظرية الاستعارة التي طرحها بول ريكور في فلسفته التأويلية التركيز على أن الاستعارة تمكن في أن نتعامل معها كخطاب، وأن الاستعارة تكون في العبارة أو الجملة بعيدا عن الطرح الأرسطي الذي كان ينظر إلى الاستعارة، بأنها تكون في الكلمة أو أنها عبارة عن عملية نقل أو استبدال بين الكلمات، ولكي يخرج ريكور الاستعارة من حساب الكلمة ودورها النصي إلى العبارة ودورها الخطابي الذي هو في الحقيقة منتجا بوصفه حدثا، فالخطاب مدرك بوصفه حدثا إلا أنه مفهوم بوصفه معنى، وعلى الفور سنرى بأي معنى تكثف الاستعارة هذه الخاصية المزدوجة للحدث والمعنى، فالشكل الخطاب للإسناد الاستعارة يتجلى في أصغر وحدة خطابية أو ملفوظ خطابي يكون في الجملة، ولما كانت الاستعارة في الكلمة أقل من الجملة أي ترتبط بالنص، ولكون الكلمة ذات مرجعية قاموسية ومعجمية، فإن الانحراف للكلمة يكون بين استعمال معجمي، واستعمال نصي، أما الانحراف الذي يطلبه ريكور يكون عن طريق انحراف الكلمة في الجملة، لأن دلالات الكلمات تكتب المعنى فعليا فقط داخل جملة ما، وأن لحظة الفهم التأويلي للنص لا تكون إلا من خلال فهم رموز النص الاستعارة، والرمز، والمجاز، ومقاربة الدلالة الاستعارية التي تكمن حسب تصور ريكور في أن الاستعارة تهتم بعلم دلالة الجملة قبل أن تهتم بعلم دلالة الكلمة المفردة، ولا تحظى الاستعارة بالمغزى إلا في قول (جملة) بأنها ظاهرة إسناد لا تسمية، وبذلك لا يمكن أن نتحدث عن استعمال استعاري لكلمة معينة بل عن قول استعاري كامل، فالاستعارة هي حاصل التوتر بين مفردتين في قول استعاري وتتضمن هذه القضية قضية إنتاج المعنى على صعيد جملة كاملة، أي أن الاستعارة في الجملة هي التي توظيف عمل الإسناد على صعيد الجملة بكاملها، وما دعوانه قبل قليل بالتوتر في القول الاستعاري ليس بالشيء الذي يحصل بين مفردتين في القول بل هو حقيقته توتر بين تأويلين متعارضين القول، والصراع بين هذين التأويلين هو الذي يغذي الاستعارة، وهكذا فالاستعارة لا توجد في ذاتها بل في التأويل ومن خلاله، ومن هذا الوصف فإن التوتر بين الألفاظ في الاستعارة الحية أو بعبارة أدق بين التأويلين الذي يكون أحدهما حرفيا والآخر مجازيا يشير إلى مستوى الجملة كاملة ويساعد على خلق حقيقي للمعنى، من خلال وجود التوتر في الاستعارة، وبهذا المعنى تكون الاستعارة خلقا تلقائيا وابتكاريا دلاليا، لا مكان له في اللغة السائدة أنه يشبه حل لغز التنافر الدلالي، وبذلك تكون استعارة الكلمة في العدول والاستبدال هي استعارة ميتة، والاستعارة الحية هي استعارة الابتكار التي تكون فيها الاستجابة للتنافر في الجملة توسيعا جديدا للمعنى، وأن الاستعارة الحية تختلف عن الاستعارة الميتة في أن الأخيرة غير قابلة للترجمة ولا تقبل سوى استعارات الاستبدال، أما الاستعارة الحية فإنها قابلة للترجمة لأنها تخلق معناها، وبذلك نخبرنا الاستعارة الحية شيئا جديدا عن الواقع⁽²⁾، منطلقا من الاستعارة إلى الرمز كاشفا عن أن العلاقة بين الاستعارات والرموز تكون من جانب الاستعارة أكثر مما في الرمز ومن جانب الرمز أكثر مما في الاستعارة، وفي الاستعارة أكثر مما في الرمز بمعنى أنها تزود اللغة بعلم الدلالة الضمني للرموز، وما يبقى مختلطا في الرمز هو دمج شيء بآخر. المتجلي في الأشياء، والتجاوب اللانهائي بين العناصر التي يتم توضيحها في توتر المنطوق الاستعاري، الذي يكون في الرمز أكثر مما في الاستعارة، فالاستعارة ليست سوى أجراء لغوية أي شكل غريب من أشكال الإسناد يختزل في داخله قوة رمزية، ويظل الرمز ظاهرة ذات بعدين بحيث يشير الوجه الدلالي إلى الوجه اللا دلالي الواقع

و الحياة⁽³⁾ ، وبذلك ففي عملية تفسير وتأويل الرموز والاستعارات تساعد على فهم الذات لذاتها⁽⁴⁾ حسب التصور التأويلي لريكور .

فمشروعية العبارة أو الجملة الاستعارية في فلسفة التأويل عند ريكور تجاوزتها النظرية السيميائية والتداولية التي ركزت على السياق أو الفعل الكلامي .

الاستعارة في السياق

تتحدى الاستعارة كل مدخل في أي موسوعة كانت لأنها تقوم على أسس مرجعية موسوعية سياقية في الفلسفة التداولية، والسيميائية تتجاوز القاموس والمعجم ، فالاستعارة ينظر إليها ضمن أطارا واسعا يتضمن بالضرورة المجاز المرسل والكناية والتي تمثل الصورة البيانية ، ففهمنا للاستعارة على أنها جميع ما تم ذكره حتى الآن في هذا الكتاب يعني أيضا على الأقل تقدير حديثا عن الرمز وعن رمز الفكرة والأنموذج الأصلي، والحلم، والرغبة، والهذيان، والطقس، والأسطورة، والسحر، والأبداع، والمثال، والأيقونة، والتمثيل، ومع ما قدمته الاستعارة من تعقيد فإن جميع المدونات التي كتبت عن الاستعارة لم تقدم الشيء الكثير أو تضيف شيئا جديدا على تعريف أرسطو الذي تأثر فيه كل من الخطاب الغربي والعربي على حد سواء ، ولقد دار الحديث بعد أرسطو عن الاستعارة حول اختيارين الأول : أن اللغة بطبيعتها ، وفي أصلها استعارية ، إذ تؤسس إليه الاستعارة النشاط اللغوي ، وكل قاعدة أو مواضعة لاحقة تولد بقصد تحديد الثراء الاستعاري ، ويتمثل الاختيار الثاني للاستعارة في أن اللغة وكل نظام سيميائي في آخر آلية تقوم على المواضعة وعلى قواعد . فهي آلة تقديرية تحدد ما يمكن إنشاؤه من جمل ، وما لا يمكن من ذلك ، وتمثل الاستعارة في هذا الاختيار آلة العطب أو النتيجة غير المتوقعة ، ولعل هذان الاختياران يمكن أن نفندهم عن طريق المنعطف اللغوي البسيط ، فلو كانت الاستعارة تؤسس اللغة ، فلا يمكننا الحديث عن الاستعارة إلا استعاريا ، فضلا عن أن الاستعارة تتحرك في مجال بعيد عن اللغة تتحرك في الكلام وتحديد السيميائي وطبيعته التي تتوسع خارج مجال اللغة مثلا يمكن الحديث عن استعارة بصرية ، واستعارة موسيقية ... الخ ، وغالبا ما يتم إحالة الاستعارة إلى تجارب بصرية ، أو سمعية ، أو لمسية ، أو شمعية خارج نطاق اللغة ، وعلى هذا الأساس فإن الاستعارة تصبح قيمة معرفية بعيدة عن الزخرفة . وأن من يريد أن يفهم الاستعارة من حيث صدقها وكذبها ، فإنه لابد أن يبحث عن تداولية الاستعارة واستعمالها في حدود وقواعد المحادثة ، ومما لا شك فيه أن القيام بالاستعارة ينهك قاعدة النوع والكم من حيث المقولات الفلسفية للتداولية ، فمن يقوم بالاستعارة فهو في الظاهر يكذب ويتكلم بطريقة غامضة وغير مفهومة ، وتبعا لذلك فعندما يتكلم شخص منتهكا جميع هذه القواعد ويفعل ذلك بطريقة تجعلنا لا نظن أنه احمق أو اخرق ، فهنا نجد انفسنا إزاء استلزام حوار .

ومن الواضح أنه يريد أن يقصد شيئا آخر ، ولعل هناك مسألة مهمة جدا تخص الاستعارة ، إذ إن الجهد الاستعاري يشغل في حدود ثقافة عصر ما ، وأن النص يرسم الحدود ، والتي يمكن في ثقافة ما أن تقبل تداوليا المجاز ، فالاستعارة تجدد نفسها بصورة مستمرة لأنها تشغل على لغة العصر ، ولكون سيميائية الاستعارة تمر أيضا عبر سيميائية الثقافة ، والتي تمثل مكتبة و موسوعة مفتوحة غير متناهية ، فالاستعارة المفتوحة تعمل من خلال السياق الموسوعي ، إذ إنه عندما تبدأ عملية توليد الدلالة يصعب تحديد أين ينتهي التأويل الاستعاري ؟ لأنه يعمل على أسس السياق ، ففي الاستعارة لا يوجد حساب

خوارزمي بالنسبة إلى الاستعارة لا يمكن وصفها من خلال تعليمات ذهنية تعطي لحاسوب ، وبقطع النظر عن حجم المعلومات المنظمة التي يمكن إقحامها فيها ، ويتوقف نجاح الاستعارة على الحجم الاجتماعي الثقافي لموسوعة الأشخاص .

فالمؤولين أو المتلقين للاستعارة في هذا المنظور السياقي والثقافي لا يمكنهم انتاج استعارات إلا اعتمادا على نسج ثقافي ثري ، أي على عالم من المضمون مسبق التنظيم من شبكات من المؤولون تقرر (بصفة سيميائية) التشابه والاختلاف بين الخاصيات ، إلا أن هذه الحالة من توليد الدلالة غير المحدد ليس بالإمكان أن تعطي مجازات بكرة أي استعارات (جديدة) لم يسبق أن سمعها أحد أو عاشت كما لو لم يسمعها أحدا أبدا ، إذ إنه في الفعل الاستعاري يوجد دائما سياق قادر أن يقدم مجازا شائعا مسننا أو استعارة منطفئة على أنها جديدة ، إذ إن السياق الذي له وظيفة جمالية دائما يقدم استعارته على أنها بكر (5) .

ولعل ما حاول التركيز عليه الجانب السياقي من حيث المنظور السيميائي و التداولي ، فإن المنظور التاريخ للاستعارة يسجل تحفظه على السياق الثقافي وموسوعية السياق من حيث النظر إلى تاريخ الاستعارة وما يتعلق بها من مدلولات عبر التاريخ .

الاستعارة في التاريخ

أن الاستعارة التي تم تعريفها في المدونة البلاغية القديمة على أساس استعارة ، أو استبدال ، أو انتقال لفظة بدل لفظة (6)، والذي يمكن أن نخالفه في أطروحتنا النقدية للاستعارة التاريخية في قولنا إن الاستعارة هي شيء يتعلق باللغة وليس الفكر ، ولكي نثبت هذه الأطروحة . فإننا نحتاج أن نتجاوز التعامل مع الاستعارة بوصفها ظاهرة تزامنية صرفة كما جاءت في الطرح الدوسيري الذي قسم اللغة إلى تزامنية وتاريخية . والبحث عن فهم جديد للاستعارة يقوم على أساس طرح قائم قبل الطرح الدوسيري يتبلور في كون التعامل مع الاستعارة يكون ذات بعدا تاريخيا ينعق من المفهوم التزامني للغة ، لأن كل استعارة تحتوي تاريخ خاص بها ، ولكي نصل إلى تاريخية الاستعارة . فإننا سنحاول الانعتاق من مفهوم القاموس والموسوعة والتمسك بتاريخية الاستعارة ، هذا أولا ، أما الجانب الثاني الذي يكمل تاريخية الاستعارة يتبلور في أن الاستعارة انارة وهو طرح يتماهي مع مفهوم هيدغر للغة الشعرية . فالنسبة إلى كون الاستعارة فكرة ذات بعد تزامني أو تاريخي، أي بمعنى ذات تطور تاريخي . فإنه يعود بنا إلى النقاش الذي كان يدور في المناهج والفلسفات اللغوية القديمة والحديثة عن علاقة المجاز بالحقيقة أو كما يطلق عليها جان جاك لوسركل في كتابه (عنف اللغة) العلاقة بين المتبقي والمعجم والموسوعة ، فإننا عند الإشارة إلى المعجم فإنه يعطينا المعنى المحدد أو الحرفي للفظ المعينة ، أما المعنى الموسوعي حسب السيميائية فقد تغني معرفتنا بعض الشيء لهذه اللفظة متأتين من كون الاستعارة عندهم تكون في الجملة ، ولكن هذا التحديد للاستعارة بين الحرفية أو الكلمة والجملة يبغي فيه هناك تداعيات وارتباطات لهذه اللفظة أو الاستعارة متأتية من الظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية المعينة والتي لا يمكن للمعاني المعجم والموسوعة أن تلقي عليها الضوء ، ويتعين علينا أن نلم بهذه التداعيات لكي نتمكن من فهم هذه اللفظة والاستعارة، وفهم عملهما في الجملة فهما شاملا وصحيحا ، وهكذا نرى الألسنية تطرد المجاز أو المتبقي من اللغة من الباب ولكنه تعيده من الشباك . بل لابد من القول إن المتبقي أو الإحالة التاريخية لا يمكن طردها من اللغة ، فهو دائما هناك وخاصة حين يتكلم المرء لغة الأم . وعلى هذا الأساس فإن علاقة

الاستعارة مع اللغة تتجلى في عبارة الصدق والكذب ، فالاستعارة حين تؤخذ بالمعنى الحرفي هي كذب صريح ، ولكنها حين تؤخذ بالمعنى الاستعاري فهي عين الحقيقة ، وعلى هذا الأساس فإن الاستعارة كذبا في الحقيقة ولكنها حقيقة في الظاهر ، وذلك يعود إلى أن الاستعارة هي قضية متعلقة باللغة وليس بالفكر ، ولأن الاستعارة في ظاهرها تخرق المعنى النحوي أو معنى المعنى ، فإنها في الحقيقة نتاج استغلال المتبقي للاحتتمالات النحوية والانزياحية التي يتيحها نظام اللغة ، وبذلك تكون الاستعارة إحدى المنافذ التي يعود من خلال المتبقي أو المهمش إلى حرم نظام اللغة . والاستعارة لا تخرق قواعد النحو أو المعنى كما تفعل الجمل الهذيانية والخرافة للقواعد ، بل هي تستعمل القواعد بعضها ضد البعض الآخر بشكل مشروع تتيجها قواعد النحو واللغة ، وهي أيضا تخرق قواعد التفسيرات الدلالية المتعلقة بالمعاني . أما الجانب الثاني الذي يرتبط بالإشارة في الاستعارة ، فإنه يتبلور حول مقولة إن اللغة الاستعارية هي التي تتكلم وليس المتكلم الفرد ، وأن حقيقة الاستعارة في اللغة والتي تتجلى في أثر الحقيقة على المتلقي لأنها انارة ، إذ إن الاستعارة الحية هي مناسبة لكشف أو تجل دقيق أو رهيف ، وهذا تجسد لأثر الحقيقة الذي انسبه إلى الاستعارة . إذ يقوم الإطار النحوي بتطبيع جملة غريبة المحتوى الدلالي ، ويحولها إلى جملة توكيدية تنقل إلينا في غرابتها رؤية عميقة . وهناك حالة يشعر فيها المرء في مواجهته استعارة جيدة أن الطريقة الغريبة التي مزجت فيها الكلمات صحيحة في العمق ، لم يسبق لنا أن فكرنا فيها بهذه الطريقة ، أو من وجهة النظر هذه ، ولكننا الآن نراها ونشعر حينها بشيء يشبه شعور الانعتاق من توتر البهجة الذي يقول فيه عالم النفس فرويد أنه من آثار النكتة الناجحة ، وبعبارة أخرى ، يحصل لدينا حدس كما لو أن الحقيقة التي كانت خفية عنا حتى تلك اللحظة قد انكشفت فجأة ، وأن هذا الحدس يستبق فهمنا للأمور . وليس ضروريا أن يكون الأمر واضحا لدينا وضوحا تاما بل أن كل ما نعرفه هو أن سحب الجهل التي كانت تغطي الموضوع قد انقشعت للحظة وجيزة . إن هذه الانارة هي تجربة شعورية يمر بها مستعمل اللغة غالبا وهي انكشاف من النوع الحدسي الذي يقوم على مزيج من غير المتوقع وغير المعروف ، وهو ما نشعر به من الانارة التي تأتي بها الاستعارة ، وطبعاً في اللحظة التي نشعر فيها أننا ننظر إلى الحقيقة نفسها ويحصل لنا التجلي ، تكون اللغة هي التي تستحوذ علينا ، فالانارة هنا هي نتيجة للتركيب النحوي ولاستغلاله من قبل المتبقي أو التاريخ ، ولذلك فإذا ركزنا على الجانب الإبداعي للاستعارة في جانب أنا أتكلم اللغة فلن يكون ذلك منا تعاملًا مع الحقيقة (فعبارة الحقيقة المجازية أو الاستعارية هي ذاتها مجازية) بل مع نتيجة أو أثر الحقيقة ، فاللغة ليست فاشستية هي محتملة وممكنة وعلى ذلك فإن الاستعارة تمثل شبه الحقيقة التي تظهر فيها المحاكاة والتي هي في الحقيقة محاكاة لأطروحة حقيقية . لكون الاستعارة تنتج معنى يحيل إلى الظروف التاريخية ، والاجتماعية ، والثقافية⁽⁷⁾.

وبانتهاء المعنى التاريخي للاستعارة فإن خطاب ما بعد الحداثة والتفكيكية نظر إلى اللغة بانها حيلة أو استعارة كبيرة أو تشويه وانتهاك بعيدا عن المركزية .

الاستعارة في خطاب التفكيك وما بعد الحداثة

يشتغل خطاب ما بعد الحداثة والتفكيكية على أساس قوانين ومبادئ جديدة في فهم اللغة عامة والاستعارة خاصة التي اطلق عليها في خطاب ما بعد الحداثة مسميات جديدة من ضمنها الحكاية أو الأسطورة أو الأمثلة .

فكرة اللغة في خطاب ما بعد الحداثة والمتمثلة في رؤية فيلسوف ما بعد الحداثة ليوتار التي تقوم على وفق أنها بلاغة الصراع ، إذ إن الاستعارة لا يمكن أن تجسد جانب ما ورائي أو مجاز بعيد عن الحرفية أو الواقعية في هذا الخطاب ، إنما اللغة بصورة عامة هي مشكوك فيها ، أنها حالة من الصراع الدائم ، فقد خالف لوتار التقسيم أو الفروق التي وضعها العالم السويسري دي سوسور بين اللغة والكلام ، فاللغة مجموعة القواعد التي يتم على أساسها (الكلام) الفعلي ، وعلى هذا النحو يشبه ليوتار المعرفة الحكائية ، أو المعرفة المعلوماتية ببنية قواعد اللغة على حسب فهم دي سوسور ، وبموجب هذا التعيد تتكون المعرفة عند لوتار من منظومات : إشارية ، وتعقيدية ، وتقويمية ، ويرى لوتار أنها تعمل بشكل منسجم في ثقافة ما ، أما في المجتمع المعلوماتي فإنه يحتاج إلى لغة جديدة تعمل على أساس الصراع والتناحر بين الأفراد ، وعلى هذا يرى ليوتار أن اللغة في المعرفة الحكائية هي لغة مركزية ثابتة ومكررة في حين أن اللغة في المعرفة العلمية إشارية متطورة باستمرار ، وعلى ضوء هذا التضاد بين اللغة فإن اللغة عند لوتار في مجتمع ما بعد الحداثة تعمل على جانب مهم جدا ، إذ إنها لا تشكل وسيلة لتبادل الأفكار أو المعلومات أو الأقناع والبيان ، إنما هي وسيلة لممارسة الحيل ، فهي في الأساس تشكل نزاع بين متحدثين ، وبذلك يناهض مشروع لوتار لغة الحوار عند هابرماس ولغة البيان والأقناع عند أرسطو وأصحابه من البلاغيين الغرب ، والعرب القدماء والمحدثين ، إذ إن لوتار يبحث في اللغة الجانب الابتكار الذي يشهد من الاختلاف أو الصراع بين المتحدثين ، ولعل قيام اللغة على أساس الاختلاف والصراع محاولة من لوتار تجاوز انغلاق النظام اللغوي قبله باحثا عن نظام لغوي يقوم على أساس تحطيم الانساق ، وقانونية المنهج الحوارية أو الصراعية الذي يتبناه المتحاورين الذي يركز على الألعاب المختلفة للغة ، وبذلك يؤكد لوتار على الاتفاق على منهج اللعب بين المتحدثين بعيدا عن دكتاتورية النظام اللغوي السابق ونظامه المعقد ، فالدافع الأساس للغة هي البحث عن المصالح وليس التواصل ، فالمصالح تؤثر اللغة لأغراض براغماتية تبحث عن ما هو فعال في المقام الأول ، فلاشك أن تقسيم ليوتار اللغة إلى الألعاب إشارية ، وتعقيدية (معيارية) وتقنية ، فاللغة الإشارية (هي ما تتم بها التفرقة بين ما هو صادق وكاذب) ، واللغة التعقيدية أو المعيارية (فهي ما تتم بها التفرقة بين ما هو عادل وجائر) ، أما اللغة التقنية (فهي ما تتم بها التفرقة بين ما هو فعال وغير فعال) ، وهو يرى أن لغة ما بعد الحداثة تهتم كلغة التكنولوجيا بما هو فعال في المقام الأول ، ومثل هذه الفعالية ترتبط بالمصالح البراغماتية للذات ، ومن ثم فهي فعالية متجددة باستمرار بحسب تعدد المواقف وقدرة الذات على الابتكار اللغوي ، والذي يقوم على الصراع والتناحر بين المتحدثين بما يكفل حرية الذوات في ابتكار نقلات متجددة في لعبة اللغة⁽⁸⁾ .

أما الخطاب التفكيكي فإن هاجس اللايقين ، واللامركزية ، والاختلاف ، والتفكيك شكل رؤيته للغة والاستعارة بصورة عامة ، إذ إنه نظر إلى اللغة بأنها تشويه ، وعنف ، وانتهاك مرجئ دائم الغياب ، فأحتاج إلى فلسفة أو استراتيجية تقوم على مقولات تقوض المركزية ومن ضمنها اللغة والتي لا يمكن أن نفهمها في الطرح التفكيكي إلا بمرور ببعض المقولات التفكيكية مثل (نقد التمرکز (اللوغوس) ، واللعب الحر بالدلالة ، والحضور الغياب ، والأثر) .

اذ يتمثل نقد التمرکز في الخطاب التفكيكي في الجدلية القائمة بين المركز والتمرکز؛ لأن المركز يمارس سياسته في تنشيط حركة الدلالة ، وترتيب الانساق ، وإتاحة الفرصة لخلق البدائل المستمرة في أنظمة مختلفة ، لكي يمارس التمرکز سلطته ونفوذه ، فضلا عن إصرار دريدا في أن لكل تركيب مركزا لسانيا

أم غير لسانيا فلسفيا كان أم غير فلسفيا ، ومن ثم حمل التراكيب لمراكز محددة يعطي أهمية لحركة الدوال ، إذ إن المركز هو الجزء الحاسم من التركيب إنه النقطة التي لا يمكن استبدالها بأي شيء آخر⁽⁹⁾ .

إذ يقف هذا المصطلح ضد اتجاه الفكر الغربي في التدجين أو الاحتواء عن طريق رفض النسق اللغوي أساسا وهي بتأكيدا على التعدد والاختلاف وإلغاء الحضور والتعالي . إنما تهدف إلى تقويض نماذج الحضور المسموح بظهور بدائل حضارية وفكرية وفلسفية يختلف عما ارسته الميتافيزيقيا الغربية .

ويقوم التمرکز حول العقل من خلال استراتيجية القراءة التي ترتبط بإساءة قراءة الخطابات الفلسفية والأدبية والنقدية من خلال التوضع في داخل الخطابات وتقويضها من داخلها من خلال توجيه الأسئلة وطرحها عليها من الداخل⁽¹⁰⁾ ، وإذ اردنا إن نتوسع في مفهوم تفكيك التمرکز حول العقل فإننا لابد من العودة أولا إلى أصل مصطلح اللوغوس في الفلسفة الغربية ، إذ إن مصطلح اللوغوس يعني في الفلسفة اليونانية : المنطق ، العقل ، الحكمة ، الكلمة أو القول (كلمة الله) ، ولقد أخذت بهذه المعاني الفلسفة الكلاسيكية والحدثة⁽¹¹⁾ ، و الذي فسره دريدا بعد ذلك في أن اللوغوس هو " كلمة يونانية تجمع في مفهوم واحد ، مبدأ العقلاني الداخلي للنصوص اللغوية ، والمبدأ العقلاني الداخلي للبشر ، والمبدأ العقلاني الداخلي للكون الطبيعي ، مما يلقي الضوء عليها جميعا ، ومما يلقي المزيد من الضوء أن تجمع كلمة (logos) كل هذه المعاني معنى آخر هو (القانون) فالمنطق باعتباره مبدأ عقلانيا داخليا يسود ويسيطر على الأشياء المادية الخارجية "⁽¹²⁾ ، ولقد ورث دريدا تحليل (هيدغر) عن اللوغوس الذي أشار فيه إلى وجود قيمتين مهمتين لهذه الكلمة عند الإغريق هما :

أ - المعنى المعروف (بالقول) .

ب - المعنى الآخر هو (الامتداد) الذي يشير إلى أن اللوغوس يثير الإحساس بامتلاك الحقيقة⁽¹³⁾ .

فعرض اللوغوس من هذا المنظور يبرزه كشكل ملموس لوجود الخطاب ونمطية الحقيقة ، واللوغوس كما ذكرنا كلمة لها حقل دلالي متشعب ، بحيث تتطابق . وما يذهب اليه دريدا في محاولته هدم اليقينية المطلقة في الفكر والثورة على سكونيته ، وذلك بتفكيك هذا التمرکز حول العقل ، فيقوض بذلك الأصل الثابت المتفرد بالقوة ، وما يرتبط به من مفاهيم التعالي والقصدية . أي إنه يهدف بوساطة مقولة (التمرکز حول العقل) إلى تحطيم تلك المركزية المعينة وجوديا بوصفها حضورا لا متناهيا ، جاعلا من هذه المقولة دليلا لنقد مفاهيم التمرکز ، وهادفا إلى معاينة نظم المقولات المعتمدة على الحضور ، ويدعو إلى ضرورة التفكير بعدم وجود مركز ، فالمركز لا يمكن لمسه في شكل الوجود ، بل ليس له خاصية مكانية ، كما إنه ليس مثبتا وموضعا بل وظيفيا . إنه في حقيقة الأمر نوع من اللامكان ، وبغيابه أو تقويضه يتحول كل شيء إلى خطاب وتذوب الدلالة المركزية أو الأصلية المفترضة أو المتعالية ، وينفتح الخطاب على افق المستقبل دونما ضوابط مسبقة وتتحول قوة الحضور بفعل نظام الاختلاف إلى غياب للدلالة المتعالية والى تخصيص للدلالة المحتملة⁽¹⁴⁾ .

ودريدا بهذه الأطروحات يناقض ميتافيزيقيا الحضور الذي وجده عند هيدغر الذي يعني به الاعتقاد بوجود مركز خارج النص أو خارج اللغة يكفل ويثبت صحة المعنى دون أن يكون هو قابلا للطعن فيه أو البحث في حقيقته⁽¹⁵⁾ ، إذ يقول هيدغر أن مثل هذا الموقف يعتبر مثاليا في جوهره ، وأن هدم الإحالة المذكورة

معناه أيضا هدم المذهب المثالي أو الروحي في شتى أشكالهما . مقرا بذلك بعدم إمكانية وجود شيء خارج النص ، إذ إن الحضور / المركز لم يعدّ حاضرا في النص أو النسق اللغوي ألا مقرونا بالغياب⁽¹⁶⁾ .

ومما سبق فإن التمرکز شيء مفتعل يضفي المركزية على من هو ليس بمركز بل بديلا عنه ، فاللغة تمثل بنية من الإحالات اللانهائية التي يشير فيها كل نص إلى النصوص الأخرى ، وكل علامة إلى العلامات الأخرى ، و كأننا أمام لعب حر بالمعاني والدلالة ، إذ أن مشروعية الانفتاح الدلالي واللعب بالدلالة وضحاها رولان بارت في مقولته بأنه ليس هناك للنص معنى محدد فليس هناك بؤرة مركزية يتمحور حولها هذا المعنى لكن هناك دائما للعب للدوال وانزياح للمعنى نتيجة لذلك إلى غير نهاية وبلا حدود . وانطلاقا من هذه المقولة ومن استراتيجية التفكير التي قد أكدت على موت المؤلف بمجرد إنتاجه للنص ومن ثم لا نستطيع تحقيق الدلالة في ضوء قصدية لا وجود لها ، إذا كان النص ليس مغلقا أو نهائيا بل مفتوحا أمام القارئ يدخله من أي زاوية يشاء ، فماذا تبقى في النص إذا ؟ أن التغيير الجوهرى الذي عملت التفكيكية في اللعب على الأجانب ما بين النص والمتلقي والتي تصل إلى نقطة التقاء إلا للحظات متأسسة من مراوغة ولعب حر للدلالات ، إذ إن التغيير الجوهرى الذي طرأ على نظرة ما بعد البنيوية يتمثل في التعديل الذي حدث للعلاقة بين طرفي العلامة وهما الدال والمدلول ، واللذان يمثلان معا وحدة العلاقة اللغوية ، ويتمثل ذلك التغيير في بعد المسافة بين الدال ومدلوله أو في ضعف العلاقة بينهما ترتب على ذلك ظهور فجوة تحولت إلى شك في الآراء التقليدية الراسخة في الكينونة والوجود والحقيقة واللغة والأدب وتتنوع مساحة الشك أو الفجوة حتى تخفى العلاقة بين الدال ومدلوله ولا تبقى في النهاية ألا الفجوة بين الاثنين . الفجوة التي يتحقق فيها اللعب الحر للمدلولات التي تحقق بدورها لا نهائية الدلالات أو المعنى حيث يصبح كل قراءة إساءة قراءة إذ لا توجد مدلولات في الواقع ، إذ لا توجد ألا دلالات . إذ إن ما يحدث في ظل وجود تلك الفجوة والمدلولات المراوغة أن المدلول نفسه لا يكتسب دلالة ألا إذ أخلناه إلى مدلول آخر وهكذا يصبح المدلول الأول دال ويحدث نفس الشيء مع المدلول الثاني ، فيتحول هو الآخر إلى دال ، إذ تحدث عملية ترحلق مستمر للمدلول تحت الدال وفي ظل غياب المركز الثابت الخارجى الذي يمكن أن يحيل إليه النص لتحقيق المعنى عملا بمبدأ الإحالة التقليدية سواء أكان ذلك هو الإنسان، أو العقل، أو الله ، أو حتى ذات الكاتب ويكون البديل في استراتيجية التفكير وهو اللعب الحر للمدلولات الذي يجعل الدوال تشير إلى مدلولات عائمة دون مثبتات مما يحولها في نهاية الأمر إلى دوال لمدلولات أخرى ، وهذا ما سماه دريدا بأنه لا يوجد شيء خارج النص، إذ في ظل هذا النسق في الدلالات، فإن ما تستطيع اللغة الإشارة إليه خارج النص هو لغة النصوص الأخرى ، اللغة التي تشير إلى اللغة فقط ، وهذا ما نسميه بالتناسل ، والذي يؤدي إلى لا نهائية الانتشار كل قراءة للنص الادبي إساءة قراءة⁽¹⁷⁾ .

أما ما يخص الحضور والغياب فإنها مقولة تقوم على رفض ما تسميه الميتافيزيقيا بالحضور التي تتجلى في الإحالة إلى مراكز ثابتة خارج النص وخارج اللغة يكفل ويثبت صحة المعنى دون أن يكون هو نفسه قابلا للمراجعة أو المسألة أو الطعن في صحته بغض النظر عن خصائص الفكر الذي يحيل إليه⁽¹⁸⁾ ، وبهذا تأتي القراءة النقدية واسعة وعميقة للخطابات الفلسفية، والتاريخية، والنفسية ، كما يرفض دريدا مفهوم التوحد التقليدي بين طرفي العلامة اللغوية الدال والمدلول⁽¹⁹⁾ ، ويركز على التوحد بين الدال والمدلول على أساس المراوغة الدائمة التي يتحرك المدلول على الدلالة ، ومن هنا تظهر علامة غياب الحضور ، علامة حاضرة يكون بالفعل في حالة غياب ، علامة غياب الأصل الذي هو شرط الفكر

والتجربة⁽²⁰⁾ ، وفي الواقع هو تحول العلامة إلى بديل للشيء وهكذا تصبح العلامة بديلا عن الشيء الذي نشير إليه أو تدل عليه في غيابه ، وكأنه العلامة اللغوية في حضورها تؤجل حضور الشيء نفسه ، وهذا يدخلنا في دائرة الاختلاف والأرجاء ونلاحظ من الصعب أن نفرق بين ثنائيتي الحضور والغياب والاختلاف والأرجاء وكأنهما مصطلح واحد ، إذ يقول دريدا " أن العلامة تحل محل الشيء نفسه أنها الشيء الحاضر الذي يمثل هنا المعنى والمشار إليه على حد سواء ، أن العلامات تمثل الحاضر في غيابه وتحل محل الحاضر حينما لا نستطيع أن نمسك بالشيء ... وبذلك تكون العلامة حضورا مؤجلا " ⁽²¹⁾ ، أو اثر يقوم على المحو والبقاء فمفهوم الأثر وتأويله في الخطاب التفكيكي أستقى من فلسفة (هيجل) وهي أداة مستخدمة في البناء الميتافيزيقي للفلسفة الجدلية والذي عده أحد المثلثات الجدلية المنتمية إلى معنى البقاء والمحو ، إذ إن مفهوم الأثر ما هو إلا نوع من المعاني المزدوجة والمتناقضة حيث يقف كل منها بوصفه نقيض للآخر داخل المفردة ، إذ تتجلى في داخل المفردة معنيين متناقضين يحملان إلى معنى آخر يجمعهما في مفهوم الأثر ، إذ نجد حركة أولى هو معنى واحد هو المحو ثم نجد حركة أخرى ومعنى ثانيا نقيضا للمعنى الأول وهو البقاء ثم نجد أخيرا معنى ثالث يجمع هذان المعيان ويحتويهما بذاته هو معنى الأثر الذي يحل تناقض المعنيين حين يركب ويؤلف بينهما يجمعهما بنفسه دون أن يكون هو أي من المعنيين المتناقضين لوحده أي إنه ليس المحو فحسب وليس البقاء فقط ، إنما هو كلتا الحركتين معا كلا المعنيين في أن واحد ، وهو حسب صياغة دريدا ما يشير وما يمحو في الوقت نفسه وهو امحاء الشيء وبقائه محفوظا في الباقي من علاماته .

حيث إن الجدلية في هذه المعنى تشير إلى هناك معنى أول (قضية) هي المحو ثم هناك معنى آخر (نقيض) هو البقاء ثم هناك معنى ثالث (مركب) يحتوي المعنيين ويلغي تناقضهما هو الأثر . وانطلاقا من هذا المفهوم فإن الأثر عند جاك دريدا حصرا هو ما يشير في الآن ذاته إلى امحاء الشيء وبقائه محفوظا في الباقي من علاماته . إنه بهذا المعنى المكان أو الشيء الذي يجمع بنفسه ثنائية حركتي رحيل الشيء وبقائه معا ، غير أن المهم في مجمل ما يعنيه هذا الكلام هو انحياز المعنى اللغوي والدلالة الاصطلاحية لأحد هاتين الحركتين واهمالها تقريبا للحركة الثانية تحديدا في مثالنا هذا انحياز لدلالة الأثر واقتراب معناه من بقايا الشيء الراحل حسب مع اهمال غير مقصود (للشيء المحفوظ في الأثر نفسه من ذلك الراحل الغائب الأقرب للمحو الكامل) وبعبارة أخرى أن الأثر، إذ يدل بانحيازه على امحاء شيء ما، فإنه ينبغي أن يدل على بقاء جزء من هذا الشيء محفوظا أيضا جزء من غياب الشيء الراحل مجاور إلى بقاءه — فهو ليس إشارة للمحو فقط ، بل هو إشارة للمتبقي أيضا ، أنه — وينبغي أن يكون هكذا — إشارة المتبقي الحاضر من الشيء والغائب منه أيضا .

ومثالا على ذلك الحضور بوصفه أثرا ، أن الحضور والحاضر دائما مؤلف من غائبين أحدهما الماضي الذي مضى وانقضى وبدونه لم يكن شيء له حضور والغائب الآخر هو المستقبل ، الذي هو بدوره يؤلف الجزء الآخر من الحاضر الذي لم يحضر بعد وبدونه ليس ثمة كلام عن حاضر .

إن حضور الحركة قابلت للأدراك بمقدار ما تكون كل لحظة قد تم تحديدها بآثار الماضي والمستقبل ، و بمعنى آخر تكون الحركة حاضرة عندما لا تكون هذه شيئا محددا ولكنها نتاج العلاقات بين الماضي والحاضر . شيء يمكن أن يحدث في لحظة ما فقط اذا كانت هذه اللحظة منقسمة ومأهولة باللاحضور⁽²²⁾

ولعل هذا الطابع التقويض ، والتفكيك في فلسفة دريدا تم تطويعه وتحويل تأثيره إلى النقد الأدبي الذي لم يبرز إلا في كتابات مدرسة بيل⁽²³⁾ ، وأن من أهم نقادها : بول دو مان ، هيليس ملير ، جوفري هاريمان ، هارلود بلوم ، جوناثان كلير ، باربارا جونسون والذي يمكن حصر أهم أطروحتهم التفكيكية ، فبول دو مان : بحث عن علم بلاغة ومازق المنطقي في النقد ، محاولاً أن يرفض تفسير العمل الفني في إطار نظام مفهومي (أي ينظر إلى الرموز والدلالات الخاصة بالتأويل بأنها لا تمتلك أن تكون علمية ، فضلاً عن ترجيحه البعد البلاغي للنص على بعده المنطقي ، و الصرفي ، لكون أن النظرية الأدبية عنده هي علم بلاغة يقوم على أساس مقالا تصويريا تحكمه الاستعارة التي تقاوم جهود النظرية الأدبية التي تحاول أن تكون أطرا مفهومية ومنهجية⁽²⁴⁾ .

أما هيليس ملير فقد انطلق من النقد كعلم أخلاق ، إذ إنه بحث عن أخلاقيات القراءة التي تبلورت عنده في أن سلطة كلمات النص على فكر القارئ لا بد أن تحترم أخريته ، أو بعبارة أخرى أن القراءة الجديدة هي القراءة أو التأويل الملائم والذي تبلور في كون أن أفضل القراءات هي التي توضح بالصورة الأفضل تنافر النص (أي التنافر المنطقي في النص) ، وأنه بذلك لا يتعد عن أطروحة بول دو مان التي أكد فيها بأن كل النصوص بمعزل عن إنتاجها واستقبالها في سياق تاريخي مخصوص يجب تصورها كبنية متناقضة ومأزقية وغير مقروءة .

ويربط جوفري هارتمان بين القراءة التفكيكية والبعد الرومانطقي والنيتشوي (نسبة إلى الفيلسوف نيتشه) ، إذ حاول جوفري هارتمان استبعاد أن يكون هناك تقارب بين مقالة النقد ومقالة العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية ، مركز على الدور الرومانطقي في النقد ؛ لأن النقد لديه يمثل امتدادا للكتابة التخيلية التي يتحول على أثرها القارئ أو المتلقي كما في النظريات الرومانتيكية إلى (مؤلف مزيد) أو مؤلف ثانوي ، مخالفا بهذا الطرح كل من بول دو مان وميلر اللذين ينزعان لتحديد موقع التناقض الشكلي في مركز تحليلتهما ، إذ يبدو هارتمان الرومانطقي والنيتشوي أقل افتتاناً بالمأزق المنطقي الميكانيكي ، مما بانفتاح النص الفلسفي أو الأدبي وتفكيكيته من هذه الناحية . وعلى غرار بارت فإنه يبحث عن اللذة والمتعة في النص بعيداً عن تفكيكه⁽²⁵⁾ .

يوسع ويطور هارولد بلوم من مفهوم التأثير وإساءة القراءة التفكيكي إلى أبعاد فلسفية ونفسية جديدة والتي تسببت باتهامه بأنه صاحب مشروعا جديدا بعيدا عن التفكيك ، مؤكداً ما كان يُشهر على لسانه بأنه ليس تفكيكياً ، ولكن يعيداً عن ما كان يؤكد ، أو يردده ، فإن أطروحته الفلسفية تحايثت مع أطروحات مدرسة بيل ، إذ إنه تصور البلاغة ليست فقط كمقالة تصويرية تحكمها الاستعارة المتعذرة بتبسيطها ، بل كذلك كظاهرة نفسية وكآلية دفاع بالمعنى الفرويدي ، وكحدث تاريخي . فقد عمل على ادخال فكرتين أساسيتين على الفلسفة التفكيكية هما : التأثير ، وإساءة القراءة (سوء الفهم) وعلى قول بلوم " أن الشاعر القوي كيف نص السابق (الأدب) مع حاجاته الأدبية والجمالية الخاصة به بهدف التخلص من التأثير المشل الذي تمارسه عبقرية الأدب"⁽²⁶⁾ . وليست قراءة بلوم ضرورة موضوعية ، أي يملئها النص وفقاً لمتطلبات الأخلاق التفكيكية ، بل هي إساءة فهم (إساءة قراءة) لا واعية وأراديه في الوقت ذاته ، تملئها حاجات النفس الفردية لدى الشاعر أو القارئ المتوسط . و (إساءة الفهم) هذه ليست مجرد (قراءة مغلوبة) بل هي تكييفاً شخصياً ومتحيزاً⁽²⁷⁾ .

ويمثل التفكيك عند جوثان كليز عبارة عن الكشف عن مجمل اللعبة التفكيكية ، وبحث باربارا جونسون عن العلاقة التفكيكية بالممارسات النقدية القريبة منه في التعامل مع اللغة⁽²⁸⁾ .

ويمكن القول إن هذه المدرسة استلهمت معطيات التفكيكية ممثلة بدريدا ألا أن توجهه النقدي اكتسب ميزة في كشف التقاليد التي خيمت بعتمتها على جانب النصوص وبيان أسس القراءة المنضبطة التي يجب أن تعتمد على خط سير القراءة المسيئة ، أو المغلقة ، وفضلا عن البحث عن روابط بين عدمية القيم وبين لا نهائية المعنى وبين التوجه الأيديولوجي والسياسي المحيط ببنية النص وأنظمتها⁽²⁹⁾ .

ولا ريب أن التشكيك بالمركزية بصورة عامة احتاج إلى بلاغة تفكيكية تراوغ وتتحايل على كل تعريف وتحديد لأنها في الأصل استعارة على استعارة بدون مرجعية ، أو إحالة قاموسية ، أو معجمية ، وبهذه الحقيقة في خطاب ما بعد الحداثة والتفكيكية يمكننا أن نقدم رؤية جديدة للاستعارة تخالف أو تتفق مع ما تم طرحه حتى الآن في هذا البحث .

ومما تقدم في هذا البحث نجد أن الاستعارة كانت في بداية طرحها تتحرك في حدود الكلمة وما يدور حولها من عملية نقل أو استبدال في الفكر الأرسطي إلى أن جاء العصر الحديث فتم توسيع عمل الاستعارة في النسق أو الجملة وما توفره من توتر وعلاقة تأويلية التي أضافت عليها الفلسفة التداولية ، والسيميائية رؤية تنظر إلى الاستعارة من خلال السياق وما يوفره من علاقات بين سياقات مختلفة لكل عصر ، والتي عمق هذه الرؤية أصحاب النظرية التاريخية للاستعارة في كون الاستعارة تنتج معنى يحيل إلى الظروف التاريخية ، والاجتماعية ، والثقافية ، أما أصحاب الفكر التفكيك وما بعد الحداثة ، فإنهم وجدوا الاستعارة في اللغة بصورة عامة عن طريق اشتغالها في حدود المراوغة ، والشك ، والمصالح ، والصراع ، والتناحر المستمر الذي يؤدي إلى ابتكار استعارات جديدة ، ولعل طموحات عمل الاستعارة لا تتوقف في حدود الكلمة أو الجملة أو السياق أو المصالح إنما الاستعارة تفتتح على معنى كبير يرتبط بالقضية التي تطرحها بصورة عامة .

المصادر والمراجع.

- ❖ البلاغة ، لابي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق رمضان عبد التواب ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط2 ، 1985 ، القاهرة .
- ❖ البيان والتبيين ، لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق د. درويش جويدي ، المكتبة العصرية ، 2004 ، بيروت .
- ❖ التفكيكية (أرادته الاختلاف وسلطة العقل) ، عادل عبدالله ، دار الحصاد للنشر ، ط1 ، 2000 ، دمشق .
- ❖ التفكيكية دراسة نقدية ، بيير ف - زيم ، تعريب أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط1 ، 1996 ، بيروت .
- ❖ التفكيكية النظرية والتطبيق ، كريستوفر نورس ، ترجمة رعد عبد الجليل جواد ، دار الحوار للنشر ، ط1 ، 2008 ، سوريا .

- ❖ الخروج من التيه، عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة ، ط1، 2003 ، الكويت .
- ❖ خريطة للقراءة الضالة ، هارولد بلوم ، ترجمة عابد إسماعيل ، دار الكنوز الأدبية ، ط1 ، 2000 ، بيروت .
- ❖ السيميائية وفلسفة اللغة ، أمبرتو إيكو ، ترجمة احمد الصمعي ، المنظمة العربية للترجمة ، ط1 ، 2005 ، بيروت .
- ❖ المعايير البلاغية في الخطاب النقدي العربي القديم ،د. محمود خليف خضير الحياني ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2012 .
- ❖ العلامة ، تحليل المفهوم وتاريخه ، أمبرتو إيكو ، ترجمة سعيد بنكراد ، المركز الثقافي ، ط2، 2010 ، الدار البيضاء .
- ❖ العمى والبصيرة ، مقالات في بلاغة النقد المعاصر ، بول دي مان ، تحرير فلاد غوزيتش ، ترجمة سعيد الغانمي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، د.ت .
- ❖ عن الترجمة ،بول ريكور ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط1 ، 2008 ، الجزائر .
- ❖ عنف اللغة ، جان جال لوسركل ، ترجمة محمد بدوي ، المنظمة العربية للترجمة ، ط1 ، 2005 ، بيروت .
- ❖ ليوتار والوضع ما بعد الحداثة ، تحرير أحمد عبد الحليم عطية ، دار الفارابي ، ط1 ، 2011 ، بيروت .
- ❖ ليوتار نحو فلسفة ما بعد الحداثة ، جيمس وليامز ، ترجمة إيمان عبد العزيز ، مراجعة حسن طلب ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط1 ، 2003 ، القاهرة .
- ❖ ماورائية التأويل الغربي ، محمود خليف خضير ، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، منشورات صفاف ، ط1 ، 2013 ، الجزائر ، الرباط ، بيروت .
- ❖ المرايا المحدبة ، عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة ، ط1، 1998 ، الكويت .
- ❖ المصطلحات الأدبية الحديثة،محمد عناني ،الشركة المصرية العالمية للنشر،ط3،2003،مصر.
- ❖ معرفة الآخر ، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة ، عبدالله ابراهيم ، سعيد الغانمي ، عواد علي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1990 ، الدار البيضاء .
- ❖ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، ط1 ، 1985 ، بيروت .

- ❖ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان ، ط2 ، 1984 ، بيروت .
- ❖ مقدمة أبن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، تحقيق حامد احمد الطاهر ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، 2004 .
- ❖ النص الادبي والمناهج النقدية ، القبعة والساحر ، د. محمود خليف خضير ، مخطوط جاهز للنشر ، عالم الكتب الحديثة ، الأردن .
- ❖ نظرية التأويل وفائض المعنى ، بول ريكور ، ترجمة سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، 2006 ، الدار البيضاء .
- ❖ النقد المعرفي في النص الادبي ، مقارنة في النظرية والأصول والمفاهيم ، د. محمود خليف خضير ، عالم الكتب الحديثة ، الأردن ، 2017 .
- والمجلات والدوريات :
- ❖ تفكيك التفكيك ، سامي مهدي ، مجلة الموقف الثقافي ، ع6 ، سنة 1996 .

- 1 - ينظر البلاغة ، للمبرد ، تحقيق رمضان عبد التواب : 81 - 82 ، والبيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق درويش جويدي : 111 - 132 .
- 2 - ينظر نظرية التأويل : 83-94 ، و عن الترجمة ، بول ريكور ، ترجمة حسين ضمري : 16-53 .
- 3 - ينظر المصدر نفسه : 94-116 .
- 4 - ينظر ماورائية التأويل الغربي ، د. محمود خليف خضير : 162 - 163 .
- 5 - ينظر السيميائية وفلسفة اللغة ، أمبرتو إيكو ، ترجمة أحمد الصمعي : 233 - 312 ، والعلامة تحليل المفهوم وتاريخه ، أمبرتو إيكو ، ترجمة سعيد بنكراد : 170 - 180 .
- 6 - ينظر المعايير البلاغية في الخطاب النقدي العربي القديم ، محمود خليف خضير : 42 - 43 .
- 7 - ينظر عنف اللغة ، جان جاك لوسركل ، ترجمة محمد بدوي : 259 - 318 ، والسيميائية وفلسفة اللغة ، أمبرتو إيكو ، ترجمة أحمد الصمعي : 233 - 308 ، والنقد المعرفي للنص الادبي ، مقارنة في النظرية والأصول والمفاهيم ، د. محمود خليف خضير : 104 - 106 .
- 8 - ينظر ليو تار والوضع ما بعد الحداثة ، مجموعة مؤلفين ، تحرير د. أحمد عبد الحليم عطية : 280 - 291 ، وليوتار نحو فلسفة ما بعد الحداثة ، جيمس وليامز ، ترجمة إيمان عبد العزيز ، مراجعة حسن طلب : 113 - 141 .
- 9 - ينظر تفكيك التفكيك ، سامي مهدي ، مجلة الموقف الثقافي ، ع6 ، سنة 1996 : 24 .
- 10 - ينظر التفكيكية ، عادل عبدالله : 152 .
- 11 - ينظر معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : 200 .
- 12 - المصطلحات الأدبية الحديثة : 136 - 137 .
- 13 - ينظر معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : 200 .
- 14 - ينظر معرفة الآخر : 123 - 124 .
- 15 - ينظر المرايا المحدبة : 330 .
- 16 - ينظر المصدر نفسه : 330 - 331 .
- 17 - ينظر المرايا المحدبة : 321 - 396 .
- 18 - ينظر تفكيك التفكيك : 26 .
- 19 - ينظر النبوية والتفكيك : 147 .
- 20 - ينظر الخروج من التيه : 187 .
- 21 - المصدر نفسه : 211 .

- 22 - ينظر التفكيكية ، عادل ابراهيم : 91 - 110 .
- 23 - ينظر المصطلحات الأدبية الحديثة : 144 .
- 24 - ينظر العمى والبصيرة ، مقالات في بلاغة النقد المعاصر ، بول دي مان ، ترجمة سعيد الغانمي : 3 - 11 - التفكيكية دراسة نقدية ، بيير ف - زيم ، تعريب اسامة الحاج : 109 - 124 .
- 25 - ينظر التفكيكية دراسة نقدية : 124 - 148 ، والتفكيكية ، النظرية والتطبيق ، كريستوفر نورس ، ترجمة رعد عبد الجليل جواد : 172 - 192 .
- 26 - التفكيكية دراسة نقدية ، بيير ف - زيم ، ترجمة اسامة الحاج : 150 .
- 27 - ينظر خريطة للقراءة الضالة ، هارولد بلوم ، ترجمة عابد إسماعيل : 96 - 222 .
- 28 - ينظر والتفكيكية ، النظرية والتطبيق ، كريستوفر نورس ، ترجمة رعد عبد الجليل جواد : 192 - 204 ، و التفكيكية دراسة نقدية : 148 - 156 .
- 29 - ينظر البنيوية والتفكيك : 149 - 150 ، والنص الادبي والمناهج النقدية ، القبة والساحر ، د. محمود خليف خضير ، ، عالم الكتب الحديثة ، الأردن ، 2018 .